

وصايا الشهيد القائد صدام حسين

نظرة تحليلية



تونس 2002

وصايا الشهيد القائد صدام حسين

نظرة تحليلية

منشورات منظمة الطليعة العربية في تونس

1/ الوصايا

١ ــ لا تستفز الافعى قبل ان تبيت النية والقدرة على قطع راسها . ولن يفيدك القول انك لم تبتدىء ان هي فاجأتك بالهجوم عليك ، واعد لكل حال ما يستوجب ، وتوكل على الله .

٢ ــ لا تقرب اليك من يظنك تحتقره .

٣ ــ لا ترتب لمن لا دالة لهم عليك ما هو اكثر من استحقاقهم ، لانك ان فعلت ذلك من اجل فضيلة ، توهموا انها استحقاقهم ، فان قصر فعلك عن مستواه لاحقا ، عدوه تقصيرا منك ، او موقفا لا يحمل كامل المودة ، وبذلك تخسر من تبره ، بدلا من ان تكسبه .

٤ ــ اذا لم تقتصد الذهاب الى كامل المدى ، عليك ان تبصر

عواقب الامور ، وقد يكون تبصيرك اياه مما يبعده عن ان يتوغل في مداه ، واذا ما قررت ان تصطرع مع عدوك ، فاظهره على حقيقته كمعتد ، ولتكن الضربة الكبيرة منك ، والضربة الحاسمة لك .

٥ ـ أسرع ، وعجل في الخير ، وتريث ، وتأن في ما يلحق ضررا باخرين . ولا تتردد في إنفاذ الحق الى ميدانه ، والطم الباطل ، حيث ما ذر قرنه .

٦ ـ لا تساوي بين الجبناء والشجعان ، ولا بين المخلصين ومن لم يستقروا بعد على موقف واضح ، ولا بين النزهاء والمدنسين ، ولا بين الصادقين والكاذبين ، ولا بين القمم ومجرد مثابات دالة فوق ارض مستوية .

٧ ـ ان حكمت ، فاحكم بالعدل ، ولا تدخل الهوى في ما يثقل حكما ، او يدع مجرما لا يرجى اصلاحه يفلت من عقاب .

٨ ـ عندما لا تحضر ميدان العمل والقتال لسبب مسوغ ، لا تدع ظلك يغيب عن المكان ، او لا يكون صوتك مسموعا .

٩ ـ ارسم خططك العامة على قدرة الاغلبية واستنفرها على ما هو اعلى ، واجعل النخبة حداتها الى حيث صعودها الدائم بالعمل القيادي ، واجعل اول القوم يرى اخرهم ، واخرهم يرى اولهم .

١٠ ـ اجعل الرحمة تاج العدالة ، والحزم بديلا عن التردد والتأني بديلا عن التسرع ، والحكمة بديلا عن التهور ، والعقل بديلا عن الحماقة ، ولا تعط عدوك فرصة عليك .

١١ ـ لا تجعل عدوك يطمع في صفحك ، ولا صديقك ييأس منه .

١٢ ـ إذا رايت ان غضبك قد يفضي الى قرار تندم عليه تريث ، لتتخذ قرارك في ظرف لا يداخله الهوى فيحرفه عن

مقصده ، او يسد طريق الرحمة في قلبك اليه .
١٣ــ لا تساو بين صديقك وعدوك ، حتى لو حصل صلح مع الاخير ، لكي لا يستهين عدوك بك ، ويستخف صديقك بمعاني الصداقة وحقوقها واعط كل واحد استحقاقه على اساس وصفه .
١٤ــ ضميرك وعقلك سلطانك ، وليس لسانك وهواك ، فاربط لسانك بعقلك واجعل ضميرك رقيب هواك .
١٥ــ احرص على ان لا تظلم احدا ، فخير لك ان يفلت منك من يستحق عقابا ، فتلوم النفس ، من ان تظلم انسانا فتمنفها .
١٦ــ ائتمن من يكون امامك في الملمات ، ولا يتحدث عن نفسه ، واحذر من يكون ضمن صفوفك ، ويعمل لنفسه حسب .
١٧ــ احرص على سرك ، ولا تفرط به ، واودع ما ترى انه ضروري منه لدى من اختبرته بما هو مثله ، ولا تجعل سرك رسم ، او مفتاح البداية لمن تختبر لسانه وولاءه .
١٨ــ لا تستهين بالبسيط الذي يصيب سمعتك ، اذ كم من حصاة صغيرة حطمت زجاجا كبيرا .
١٩ــ حافظ على اسرار الناس ، ولا تضعها في افواه الاخرين ، او تستخدم سر صديق عليه .
٢٠ــ عندما تقرر ، لا تندم ، وعندما تكتشف الخطأ ، لا تتردد في اصلاحه ، ولا تغوينك السبل السهلة ، عندما تكون السبل التي تدمي قدميك عنوان الذرى او الخيار الذي بدونه لا تصعد الحياة الى ما ينبغي .
٢١ ــ اعتمد الرجال الذين لا يترددون امام واجبات صعبة ، تبدو لك ، لاول وهلة ، انها اعلى من قدراتهم ، وليس اولئك الذين يختارون منها ماهو اقل من قدراتهم .
٢٢ــ لا يكن مدخلك الى من تعتمد عليه ، او تهمل اختباره ،

صفة واحدة فيه ، ولا تدع الفرع بديلا عن الاساس ، واحفظ لكل دوره ، على اساس صفاته وموقفه .

٢٣ــ اجعل صور تعامل المرء في الحياة الاعتيادية امامك ، واجعل صورته في الظروف الصعبة حاسمة في تقرير درجة الميل في ذراع الموازنة .

٢٤ــ لسانك موقفك ، فلا تهنه ، ولا تكثر في وعد لا تستطيع الوفاء به ، او وعيد لا يجد ما يدعمه في قدرتك .

٢٥ــ اجعل الكرم سبيلك امام البخل ، والاقتصاد سبيلك امام التبذير ، والوصل سبيلك امام التجافي ، والعفو سبيلك امام الانتقام ، والمحبة سبيلك امام البغض ، واذا ما اضطرت الى اختيار بين سبيلين متناقضين ، فاجعل الوسط بينهما حالة طارئة ، تمر بها ، من غير ان تعتمدها قانونا دائما في حياتك وتعاملك .

٢٦ــ لا تستخدم كل قدراتك مبادئا بهجوم في صراع مع العدو ، لا تقدر انك باستخدامك اياها تحصل على نتيجة حاسمة، اذ ان استخدامك اياها من غير ذلك ، قد يحول نتائج الصراع عليك ، ويكون عدوك غالبك .

٢٧ــ لا تجعل من خط البداية لقدراتك ووسائلك في امر صراع مع عدو وكأنها صورتك النهائية امامه في الزمن اللاحق ، اذ ان الثبات على هذا جمود ، وحركة عدوك فيه ميزة فيها عليك ، فجدد في وسائلك وتدابيرك وقدراتك بما يزيدها ويغنيها ان اردت الغلبة .

٢٨ــ لا تنظر الى قدرتك على اساس ما هو داخل نفسك فحسب ، وانما على اساسه ، واساس تأثيرك في غيرك

ايضا ، واذا ضعف من يهمك امره ، او يشاركك في فعل جمعي ، لا تبن مجدك على اشلائه ، او ضعفه ، وحاول ان تغير ضعفه الى قوة ، باسناده وحمايته من ضعف نفسه ، بما تمنحه من تشجيع وحماية وتبصير وقوة ، واعلم ان عمل الجماعة ، حيثما تأسس الفعل عليه ،

٢٩ـ اعلم بأنه ليس هناك ما هو افضل من تجديد الامل في النصر ، وان في العلاقة الانسانية بين الرئيس والمرؤوس ما يحيي التفاؤل في النفس ، ويعطيها الثبات ، للمضي في طريقها ، في ظروف حرب او صراع ، تكون الغلبة فيه للمطاولة والصبر والعزيمة .

٣٠ـ المبادىء ليست سبيل الحياة لترتقي حسب ، وانما هي تاجها فلا تهبط بالمبادىء الى مستوى وسائل متدنية ، ولا تدعها معلقة من غير سند يعطيها الحيوية وقدرة التجديد بصلتها بالحياة .

٣١ـ لا تجعل المادة قاعدة ومرجع المعاني الروحية والاعتبارية في نفسك ، ولا تدع هذه المعاني من غير قدرة ملموسة تردفها وتباريها ، واذا ما وضعت امام اختيار ، فاختر ما يرضي روحك ، مصدر قدرتك .

٣٢ـ لا تستخدم الا مجربا في امر ليس بامكانك استكشاف مداه كله عند خط البداية . ولا تحرم من ينبغي تجربتهم من أمر او ميدان جديد .

٣٣ـ لا تجرح روح صديق بنصيحة ، ولا تحرمه منها ، ليعرف خطأه .

٣٤ـ ألطريق المجرب ليس هو الافضل دائما . والحكمة ليست في اهماله دائما .

٣٥ــ اجعل عدوك امام عينك واسبقه ولا تدعه خلف ظهرك .

٣٦ــ اجعل اهتمامك بالفرصة التي تنتزعها ، وليس في الفرصة التي تمنح لك .
٣٧ــ لا تكن فرصتك على حساب نفسك فتخسر نفسك واكسب نفسك اذا ما اجبرت على خسارة فرصتك .
٣٨ــ الفرصة الحقيقية هي التي تغتنمها ، لا التي تتصورها ممكنة حسب .
٣٩ــ ادرأ الندم بالحكمة ، لكي لا يكون الندم حقيقة تنوء بحملها .

٤٠ــ الشره في الطعام والشراب شره في الحياة . ومع ان للشرهين بوجه عام ، قلوبا كقلب سمكة ، فلا تجعل لهم سلطانا كبيرا على الناس ، لان قيادة الناس بحاجة الى من له قلب انسان ، يحب الناس ، ويكره الافعال المكروهة ، يغضب ويرضى ، يثور ويهدأ ، يقطب ما بين حاجبيه ويبتسم ، يرجف شاربه لامر مرفوض ، او يزهو لما يريح النفس ، وان يتوازن في نظرته وتصرفه ازاء الحياة ، وان يعتدل في الطعام والشراب ولا يفرط فيهما .

٤١ــ لا تجعل لمن يداري شهرته بالمال ، او يجعله الاساس فيها ، سلطانا على مال للدولة ، ولا لمن يداريها بالاظهار سلطانا على اجهزة دعاية واعلام ، ولا لمن يداريها بالفتوحات ، بغض النظر عن وصفها ، ومقدار الحق والباطل فيها ، سلطانا على جيش ، ولا تولي حقير الوزن والتأثير والموقف على الناس ، ولا لمن يغدر في

ظلام ، او لا يخشى الله ، سلطانا على اجهزة الامن القومي ، وول على كل عنوان ، واي عنوان ، القوي الصادق الامين .

٤٢ـ لسان الناس كتاب على الارض ، فلا تهمل قراءته ، ولا تصدق كل ما تقراه فيه .

٤٣ـ من مدح نفسه امامك ، ولم يسبقها بما هو حق عن فعل الاخرين ، صار شاهدا على ذمها ، اذا كان عدم إظهاره لها لا يسبب له حرجا فاعرف ذلك ، واعرفه .

٤٤ـ لا تستهن بالبسيط الذي يبني سمعة طيبة ، ولا بالبسيط الذي يُسيء الى سمعتك ، وعلم ان اساس كل حريق شرارة ، وقطرة من عطر تملأ باحة باريجها .

٤٥ـ إجعل قدمك على الارض ، في الوقت الذي يمتد بصرك الى الافق ، ولا تحرم نفسك من الصلة بالارض والسماء معا ، إذ ليس اي منهما لوحده بديلا كافيا في الحياة .

٤٦ـ استفد من دروس غيرك ، قبل ان تدفع ثمنها ، فان لم تستطع فمن دروسك ، قبل ان يثقلك ثمن ما تدفعه عن التراكم منها ، فتغرق ، وان لم تستطع ، اخشى ان توصف بالغباء والحمق ، او ان يكون مصيرك التعاسة ، او الهلاك .

٤٧ـ تجنب الشر ، ولا تكسبه ، وادرأه بالحسنى ، كلما وجدت الى ذلك سبيلا ومن غير ان يكون لذلك ثمن منك لمصدر الشر ، ولكن عليك ان تتحسب له . واذا ما غشاك فلا تلتو امامه ، وواجهه بما يستحق ، واطرد شيطان الضعف من نفسك ، وذلك لان الله يحب الشجعان ، ويخشاهم الشيطان ، ولان الشر شيطان

الحمقى المتجبرين والضعف شيطانه اخر ، فاطـــرد الشياطين بالاقتدار المؤمن الفعال من نفسك ، وفي ساحة المنازلة ، وحطم نواميسهم على سندان قدرتك بعـــد الاتكال على الله .

٤٨ـ لا تجعل ماضيك كل ما تستند اليه كمصدر لقدرتـــك وتأثير فعلك ، اذ انك بهذا تكون قد اتكأت عليه حسب ، وانما اجعله جذر قوتك وفعلك ، وكن حيويا ومؤثـــرا وسط الحاضر ، في الوقت الذي تمتد ببصرك ، وطموح فكرك ، الى المستقبل كله .

٤٩ـ احذر من نفسك قبل عدوك وانتبه الى صديقك قبـــل خصمك .

٥٠ـ اساس المعدن الاصيل الطيب للرجال ، ان يستحوا مـــن اي نقيصة ، فمن لا ترى انه يستحي من ذلك ، فـــلا تعتمده في مهمة خير ، واجعله يجادل خصومك واعداءك حسب .

٥١ـ لا تعمل كل ما انت قادر على القيام به ، وانما ما يعـــد صحيحا ومشروعا على اساس المبادىء التي تؤمن بهـــا ، بعد الاتكال على الله .

٥٢ـ لا تطالب بما هو ليس حقا لك ، ولا تتنازل عنه الا لمـــن هو احق منك به ، ووازن بين حق وما يقابله من واجب ، او التزام ، لان من يسعى الى الحق من غير واجـــب او التزام يقابله ، عالة على غيره ، ومن يقوم بواجـــب او التزام من غير حق يضع نفسه موضع المستغل الضعيف ،

واي منهما ليس من صفات العراقي والعربي الاصيل المؤمـن .

٥٣ـ اذا اردت ان تجعل خطأك باقل ما يمكن ، وان تكـون صاحب عدل الى اقصى ما يمكن في ذلك ، تذكـر ان الشيطان ينزغ القلوب الضعيفة ، ويعشعش داخـل الصدور الخالية من الايمان ، واجعل نفسك مكـان غريمك او خصمك لتعرف هل ان الحق لك ، او ان حق خصمك وغريمك يعلو عليك .

٥٤ـ تذكر دوما انك قد تندم على تصرف او قول ينفلت الى ميدانه قبل اوانه ، او في غير مادقة بحق من قصدته فيه ، ولكنك لن تندم على صبر لطول مداه ، اذا كـان في اساسه تصميم فعل يقضي ذلك .

٥٥ـ لا تختر في موقع القيادة اولئك الذين يشيرون الى ماهو اعلى من دورهم في النجاح او النصر ، ويتنصلون عـن مسؤولياتهم في الاخفاق او الفشل .

٥٦ـ اختر للعناوين الرفيعة من اعد نفسه ليمنحها قـدرة لتكون افضل في خدمة قضية الشعب والامة ، لا اولئك الذين ينظرون اليها على انها وسيلة فرصتهم ، ليكونوا بها افضل على حساب الشعب والامة ومصالحها .

٥٧ـ ايها الشباب ، اذا سبقكم من ترون انه سابق لكم بمـا هو مادي او مظهري ، فلا تعقبوا اثره ، واختاروا طريقكم الخاص المشرف ، اذا كان طريق من سبقكم على غـير هذا الوصف ، واسبقوه الى ما هو روحـي واعتيادي ، وبالثقافة والموقف ، والتحصـيل الدراسي والعمـل الشريف المشروع ، اذا ان موقفكم على هذا هو الاعمـق اثرا والاكثر رسوخا ، والاعلى منزلـة ، وغيره قـد يكون الى زوال .

2/ نظرة تحليلية

لقد استأثرت وصايا القائد باهتمام واسع من الكثير من المفكرين والكتاب والسياسيين ومراكز العلم والتربية والتثقيف رسمية او شعبية ، وذلك لاسباب عديدة يأتي في مقدمتها سمو أهدافها ووضوح مقاصدها والحاجة اليها ونوع ومستوى المصدر الذي صدرت عنه ، فقد اشار الرئيس القائد الى :

١) انها قد تعين من هو بحاجة اليها لتزداد اشراقة المستقبل في روحه .

٢) إنها تعزيز قدرات الحاضر ليستزيد بما يقوي موقف الحق من الباطل .

وهي بهذه التوجهات إنما تعبر عن دعوة خيرة لتنمية قدرة الانسان الروحية ، واعانته على التمييز بين الحق والباطل ، ووقوفه الصلب مع الحق . ذلك ان السلوك الانساني بمجمله هو أشكال من الصراعات المختلفة المتراوحة بين الخير والشر من ناحية ، وبين الشر بمستوياته والخيربمستوياته ايضا ، مما دعا القائد الى الدعوة لما يقوي موقف الحق والخير والاستزادة منه ، وفي الوقت نفسه يزيد الفرد صبرا بحيث يصبح اكثر ثقة وتفاؤلا بالمستقبل وتشديدا لعزيمته ورفعةً لهمته ولروحه المعنوية . وتنبثق اهمية هذه الوصايا ، اضافة الى ذلك ، انها :

٣) تصدر من قائد البلاد ورئيسها ومفجر ثورتها ، فهي بهذا تمثل نصائح هادية لابناء شعبه ومرشدة لهم ، فهي تنهى وتحذر وتنذر ، ثم ، هي تبصر

وتعالج مواطن الضعف فتدعو الضعفاء ليكونوا اكثر قوة وتدعو الاقوياء لمساعدتهم ، في الوقت الذي تحذرهم من التدحرج الى اسفل .

٤) تصدر في وقت تشتد فيه الحاجة اليها والى ضرورتها ، ذلك ان الحصار الظالم ، وبعد مرور عشر سنوات عليه ، ترك آثارا سلبية لا يمكن تجاهل وجودها في شخصية العراقيين او في نظرتهم المستقبلية ، على الرغم من صمودهم العالي وايمانهم الكبير وتكيفهم الواسع للظروف المستجدة .

كما انها ، وفي الوقت نفسه ، تعبر عن مواقف حيوية ماضية معيشة ، وقد جاءت وصايا القائد ونصائحه لتغني التجربة وتزيد من الخبرة بخبرة ثرة وتجارب حيوية منبثقة من خبرة القائد ومعايشته الميدانية الطويلة والمتنوعة .

٥) احتوت نظرة فلسفية واستنتاجات نظرية من الواقع تشكل منبعا ثرا ومهما للباحثين والمفكرين والمؤرخين المعنيين بدراسة فلسفة القائد ورؤاه الفكرية وشخصيته القيادية وطريقة تفكيره . ويقينا ان هذه الوصايا بما حملته من حكم وتجارب ونظرات صائبة للحاضر والمستقبل ستزيد من إيمانهم وثقتهم بالفكر النير لسيادته ، ذلك انها تخاطب ذوي العقول الباحثين عن الحقيقة والرأي السديد .

٦) تتميز بالشمول والتكامل ، كما تتميز في الوقت ذاته بالاسلوب الرصين ، وتتسم بالايجاز والوضوح والصياغات المنوعة للعبارات ودقتها ، مما يجعلها سهلة الاستيعاب ، إذ تتسع فرص الافادة منها ، كما تتعمق آثارها عند تحويلها الى مبادىء يُهتدى بها ونماذج سلوكية نقتفي اثرها .

إن الباحث المحلل والمتأمل لوصايا السيد الرئيس القائد يجد انها تجسد في شموليتها اهتماما كبيرا بالانسان قيمة عليا ، وبكل جوانب شخصيته العقلية والاجتماعية والوجدانية والروحية . ذلك ان الانسان هو الوحدة الاساسية في المجتمع ، وهو باني الحضارات ، وهو الذي يبدع ويبتكر ويجاهد ، وهو

الذي يتميز بالفكر وسمو العقل والمدركات العقلية التي يهتدي بها للتعاون مع ابناء جنسه من البشر والانتماء الى المؤسسات الاجتماعية لتحقيق ذاته والشعور بوجوده •

ولاجل استلهام القيم من وصايا القائد ، تم مراجعة كل وصية على حدة وقراءتها بتأن للوصول الى القيم التي تتضمنها الوصية وتسميتها : وقد انتقل التحليل للقيم بعد ذلك الى تركيبها بشكل مكونات اكبر ، وتنج عن ذلك التصنيف الاتي للقيم بحسب مجالاتها :

١ ـ المجال العقلي •

٢ ـ المجال الوجداني •

٣ ـ المجال الاجتماعي •

٤ ـ المجال الروحي •

وفيما يأتي تحليل تفصيلي لكل مجال قيمي :

١ ـ المجال العقلي :

يزخر تراثنا العربي الاسلامي بالاهتمام بالعقل والتربية العقلية • فلقد اوصى الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز في العشرات من آياته باستخدام العقل واعماله هدى للانسان نحو عمل الخير واتخاذ القرار السليم في التعامل مع النفس ومع الاخرين • فالعقل من اجل النعم التي انعم الله بها على الانسان ، وهو قبس من نور الله ، او كما قال حجة الاسلام الامام الغزالي انه « نموذج من نور الله » • لذا يعد إعمال العقل واجبا دينيا ، إضافة الى كون استخدام العقل الى اقصاه يعد اداة لسعادة الانسان ونجاحه في الحياة •

لذا يعد تربية العقل وتنمية القدرات العقلية ومهارات التفكير والاعتماد على العلم والاحكام العقلية والتفكير العلمي اداة في تقويم الاشياء والحكم عليها في ضوء الحقائق المتوفرة اساسا صادا في تحقيق الحياة السعيدة المنتجة ،

ويسهم في تكوين الانسان الرشيد هدف الثورة واداتها ، مما يجسد اهمية التربية العقلية وضرورتها في زماننا هذا تعبيرا عن الاهتمام بالانسان بكل جوانب شخصيته • فالانسان هو الذي يبني وهو الذي يدمر وهو الذي ينشيء الحضارات ، ويبدع ويبتكر ، وفي عقله تنمو بذور الخير والسلام والبناء والجهاد • ولهذا كله ، يجد المتأمل والمحلل لوصايا الرئيس القائد ان اغلبها ، بل جميعها ، تسعى لمخاطبة عقل الانسان العراقي والعربي ، مما يعني اهتماما فائقا من سيادته بتربية الجانب العقلي من شخصية الانسان •

فالقائد في وصاياه الـ ٥٧ كلها ، يسعى الى انماء المعرفة والقوى العقلية والادراكية لدى الفرد ليحسن التفكير والتنظيم والتكيف والتأمل والتذكر ، ويدرك المفاهيم بحيث يستطيع التعامل مع الحياة المستقبلية بما تتطلبه من ضرورات التفكير العقلي تميزا واستقصاء واستكشافا وتبصرا وادراكا لطبيعة العلاقات والمواقف وتعاملا ناجحا مع الزمن والبشر •

ولاشك ان هذا الاتجاه العقلي المستجد في الوصايا هو المطلوب دائما لمثلها ، ذلك ان مخاطبة (ذوي الالباب) لابد ان تبدأ بمخاطبة عقولهم باسلوب علمي ومنطقي ، كما اوضح ذلك الرئيس القائد باسلوبه السهل الممتع من طرح للمشكلة او الظاهرة او الحالة ، ثم توجيه في الحل ، مما يثير التفكير ويدعو الى الاستنتاج والاستنباط والمقارنة والتدبر • وهي بهذا تدفع القاريء الحصيف الى الافادة منها وتمثلها في سلوكه ، وهي ما تهدف اليه الوصايا تماما •

ولعل ابرز ما نلاحظه في الجانب العقلي من وصايا القائد ، هو الدعوة الى استثمار القدرات العقلية الى اقصاها ، واستعمال العقل بديلا عن الحماقة ، وربط العقل بالضمير واللسان فتكون الحكمة والقرار الحكيم بعيدين عن الهوى والتهور •

ولعل ايضا من اولويات هذا التفكير العقلي الحكيم الاتجاه نحو التخطيط العام الشامل للجماعة وللفرد ، وهو امر لازم للحياة الناجحة ولرضا الله تعالى ، وذلك بخطوات متوالية ومنطقية تبدو في ثنايا الوصايا . ويأتي في مقدمتها ، تعرّف الواقع وما يدور فيه (لسان الناس كتاب على الارض ، فلا تهمل قراءته ، ولا تصدق كل ما تقرأه فيه « الوصية ٤٢ ») من دون الالتزام المطلق به ، ومن ثم الانطلاق نحو المستقبل بتفاؤل وثبات (اجعل قدمك على الارض في الوقت الذي يمتد بصرك الى الافق ولا تحرم نفسك من الصلة بالارض والسماء معاً « الوصية ٤٥ ») . يلي ذلك توفر النية والقدرة على تحقيق الاهداف المتوازنة مع ميل الى الجانب الروحي منها والتمسك بها وبما هو متوفر من قدرات الاغلبية مع عدم المجازفة في استخدام القدرات مرة واحدة ، مع الافادة من خبرات الاخرين ومتابعة إصلاح الخطأ حيثما وجد ، مع التجديد في الوسائل والتدابير والقدرات لتحقيق المبادىء مما يعد صحيحا ومشروعا ويمكن الوصول اليه وانجازه .

ويأتي الحذر والتوجس من القيم المتكررة في وصايا الرئيس القائد ، وتمثل تلك القيم اتجاها واضحا فيها بدءا من الحذر من الانحرافات الشخصية والغياب عن المكان (المشاركة) والحذر من نوايا العدو والغفلة عنه (اجعل عدوك امام عينك ، واسبقه ولا تدعه خلف ظهرك « الوصية ٣٥ ») ، والانتباه الى الصديق قبل الخصم ، وممن يعمل داخل الصف ويعمل لنفسه ، وعدم تقريب من يظنك انك تحتقره ، وعدم افشاء السر لمن لم تجربه ، وعدم الاستهانة بالقضايا الصغيرة البسيطة .

ويأتي الاتجاه الاخر في الجانب العقلي من خلال الدعوة الى تكافؤ الفرص وحسن الاختيار والتمييز بين من تتعامل معهم ، فالمطلوب عدم المساواة بين الجبناء والشجعان والنزهاء والمدنسين والصادقين والكاذبين ، واعطاء كل ذي حق حقه والحكم بالعدل وايلاء النخبة المؤتمنة مواقعها القيادية المناسبة .

ثم يأتي الحزم والمبادرة المحسوبة اتجاها واضحا اخر في وصايا الرئيس القائد ، فلطم الباطل وانفاذ الحق الى ميدانه ، والبعد عن التردد واظهار العدو على حقيقته والمبادءة ، كلها بين يديك فـ (لتكن الضربة الكبيرة منك والضربة الحاسمة لك « الوصية ٤ ») .

ان هذه القيم والاتجاهات يرتبط بعضها ببعض لتؤلف نسيجا متكامل الالوان والصفات ، ولتكون لوحة تصب في بناء الانسان العراقي والعربي ، ويفيد منها الفكر التربوي الانساني .

يبقى ان تتساءل بعد هذا عن صورة الانسان الذي توحي به هذه الوصايا من خلال القيم التي تفرزها . ان التحليل القيمي يشير الى ان بناء الانسان على وفق هذه الوصايا يهدف الى ان يتحلى في الجانب العقلي بالخصال الاتية :

« حسن التخطيط والتدبير ، والتفكير العلمي ، والتفكير المنطقي ، والحكمة والحذر والتوجس والحرص وبعد النظر ، والتبصر ، والتحسب وحسن الاختيار ، والتجديد واليقظة ، والانتفاع من الفرص المشروعة ، والتنظيم والاعتدال والحزم وتقدير الموقف وحسن اتخاذ القرار » .

٢ ـ المجال الوجداني :

ويقصد بالوجدان المشاعر والاحاسيس والعواطف والانفعالات وتبادل المشاعر الايجابية وتنميتها ، وحب الجمال والفضيلة . ويعبر الانسان عادة عن الجانب الوجداني من شخصيته باشكال وصيغ متباينة من فرح وحزن وغضب وحالات مزاجية وغيرها من مشاعر تتلازم مع الوجود الانساني وتتداخل وتتفاعل فيما بينها . كما تتداخل وتتعارض في احيان اخرى مع دوافع الفرد مما يعطي الحياة الانسانية عمقها وحساسيتها ويمنحها ألوانها البهيجة والمأساوية على حد سواء .

وعلى هذا ، يؤدي الوجدان دورا اساسيا في تحديد الشخصية فيطبعها بطابعه ويلونها بلونه بحيث تعد السمة الوجدانية وجها من وجوه الشخصية وليس مجرد عامل مكون لها فقط ، لذا يصبح الاهتمام بتنمية الوجدان وتهذيبه وتوجيهه ذا اهمية قصوى في بناء الشخصية السوية المنتجة • وهي بهذا تصبح قوة لا يستهان بها في تنظيم حياة الفرد والمجتمع ، ولهذا كله ، كان للجانب الوجداني مكان بارز في وصايا القائد الى ابناء شعبه •

وقد تجلى ذلك في بروز اتجاهين في الوصايا ، الاتجاه الاول : وفيه اعلاء للصفات الايجابية وتمجيدها والدعوة لها • والاتجاه الثاني : وفيه تحذير من مغبة الانجرار الى القيم وانماط السلوك المتدنية التي لا يرضاها الله ولا يرتضيها البشر وتتناقض مع الاعراف الاجتماعية ويحكمها الهوى وحب الدنيا على حساب الاخرة ، والميل للاستجابة الى نزعات الشيطان •

ففي الاتجاه الاول تعبر الوصايا عن الدعوة الى جملة من الصفات والقيم العليا التي تقرها القيم العربية الاسلامية ويرفع المجتمع من شأنها • ويأتي في مقدمتها المحبة وسيادة العلاقات الانسانية وتحكم الضمير والحفاظ على اسرار الناس والغضب من الباطل ، والنصح • وتتجسد في الاتجاه الثاني الدعوة الى تجنب الشر • ويذكر سيادته بدور الشيطان في التشجيع على الشر لدى اولئك الذين تسيرهم اهواؤهم وامزجتهم • (فالشيطان ينزغ الى القلوب الضعيفة ويعشعش داخل الصدور الخالية من الايمان « الوصية ٥٣ ») • وفي الاتجاه نفسه ، يحذر القائد مما يمكن ان يجلبه الاندفاع العاطفي غير العقلاني والمتمثل بالحماقة والتهور والتسرع والعجلة والنزعات الانفعالية غير المنضبطة مما قد يؤدي الى الغضب غير المبرر والتجافي والكراهية وإضعاف النسيج الاجتماعي للعائلة وللمجتمع بكل مستوياته •

ولا يكتفي الرئيس القائد باعلاء شأن القيم الخيرة والدعوة الى قمع كل ما هو غير اخلاقي في السلوك ، بل يضع كل قيمة خيرة سبيلا للابتعاد عما

يناقضها من قيم شريرة او سلوك خاطىء (الوصل امام التجافي والعفو سبيلك امام الانتقام والمحبة سبيلك امام البغض واذا ما اضطررت الى اختيار بين سبيلين متناقضين ، فاجعل الوسط بينهما حالة طارئة « الوصية ٢٥ ») .

كما يضع سيادته ضوابط لتنظيم الجوانب الوجدانية ، ويأتي في مقدمتها ضمير الفرد وعقله (ضميرك وعقلك سلطانك وليس لسانك وهواك ، فاربط لسانك بعقلك واجعل ضميرك رقيب هواك « الوصية ١٤ ») . كما يدعو الى اعتماد معاني الصداقة وحقوقها محكات لتصرف الفرد ازاء صديقه ، ويدعو الى تصحيح الخطأ ، واعداد لكل حال ما يستوجب .

إن الاخذ بهذه القيم الايجابية والنماذج السلوكية ، الى جانب الاعتراف بالطبيعة الانسانية في ضعفها وقوتها وفي انفعالاتها وصراعاتها ودوافعها ، يتطلب من الفرد ان يكيف ويهذب الكثير من تعبيراته الوجدانية ويسعى الى (أن يتوازن في نظرته وتصرفه إزاء الحياة « الوصية ٤٠ ») وتلك هي القضية الاساسية في الوجدان .

إن بناء الانسان وجدانيا ، وكما تدل عليه الوصايا ، يتطلب ان تنمى لديه قيم كثيرة تربط الجانبين الوجداني والاخلاقي ، بل الروحي والاجتماعي ايضا . واهم هذه القيم : المحبة وسيادة العلاقات الطيبة ، وعمل الخير والكتمان والنصيحة والكره للاعمال المستقبحة ورفض الظلم ، وعدم الانجرار الى الهوى والتوازن في العواطف ، وتجنب الاغتياب والتجسس والابتعاد عن التهور والاتزان العاطفي والجرأة والتأني والمودة والتفاؤل والرحمة والخجل من عمل السيئات . ويؤطر هذه القيم كلها وازع ايماني روحي .

٣ ـ المجال الاجتماعي :

ويقصد به توجيه الافراد وتنشئتهم على وفق الاهداف التي تسعى اليها الجماعة ، من حيث صلة الفرد باسرته ومجتمعه ، واكسابه انماط السلوك والمهارات والقيم والاتجاهات التي تساعده على التفاعل مع البيئة الاجتماعية

بنجاح ، بحيث يستطيع مواجهة التغيرات الاجتماعية ، وتنمو لديه الاتجاهات الايجابية نحو العناصر المشتركة في البناء الاجتماعي ، ليتمكن من اداء دوره في التفاعل الاجتماعي ، ويتحمل المسؤولية الاجتماعية تجاه نفسه ومجتمعه • إن ذلك يعني ان الفرد كائن اجتماعي ، وعندما تتسم الحياة الاجتماعية باليسر والسهولة والتنظيم والانصياع الايجابي للقيم ، فهناك احتمال كبير في ان يعيش الفرد اجتماعيا بأمان واطمئنان • وعندما تضطرب الحياة الاجتماعية ، ويفقد الناس ثقتهم بمؤسساتهم الاجتماعية ، فهناك احتمال كبير في تعرضهم الى حالات القلق والاضطراب الانفعالي •

ومن المعلوم ان المؤسسات الاجتماعية اوجدها المجتمع لكي تنظم حياة الناس اجتماعيا • وقد يقبل الناس ذلك طواعية • اذ لولاها ما كان هناك وجود لما يسمى بالمجتمع • ان هذه المؤسسات يعرف تأثيرها بمقدار ما تبثه من قيم بين افرادها كما ونوعا • وتكون الحاجة اليها اكثر في اوقات الشدة والازمات ، إذ تشتد الحاجة الى التمسك بالقيم التي ارتضاها الناس ، خشية ان يصاب المجتمع بالتفكك •

لقد عانت مجتمعات كثيرة الاحداث الجسيمة ، ولعل المعاناة كانت اشد عندما اصيبت قيمهم بالتفكك والانحلال ، ونتج عن ذلك كثير من مظاهر الانحراف الاجتماعي •

ومع التسليم باحتمالية حصول التفكك في المجتمعات كافة ، الا انه ليس قدرا مقدرا عليها • صحيح ان المجتمعات التي تتعرض الى الاحداث الجسيمة يتأثر كيانها الاجتماعي القيمي نتيجة هذا التعرض ، الا ان ذلك مرهون بقوة المؤسسات الاجتماعية وتماسكها وبقوة منظومتها القيمية • وتكاد الاسرة تكون احدى هذه المؤسسات الاجتماعية الاكثر مقاومة لعوامل التفكك ، والاقدر على استرجاع هيبتها في اول فرصة تسنح لها • لكنها عندما تستعيد نشاطها تبدأ بمقاسمة المؤسسات الاجتماعية الاخرى مسؤولية الحراسة القيمية•

ان التحليل القيمي لوصايا الرئيس القائد في المجال الاجتماعي يكشف عن عمق نظرته الى الحياة الاجتماعية ، ولا تتحقق هذه النظرة الا بالخبرة والتجربة الطويلة • ومع تأكيد وصايا السيد الرئيس اهمية الجانب العقلي لشخصية الفرد ، الا انه لم يهمل الجانب الاجتماعي والنظام القيمي في كيفية التعامل مع الناس وتكوين علاقات اجتماعية طيبة ، من حيث ممارسة الحقوق والواجبات والالتزام بالعدل والمساواة بين الناس وتجنب الهوى واحترام آراء الناس ، واستنفار قدرة ورأي الاغلبية وتفضيلها على رأي الاقلية •

ان نظرة الرئيس القائد الى الانسان اجتماعيا تتسم بالموضوعية • فهو ، اي الانسان ، وكما يبدو من التحليل ، يتصرف اجتماعيا على وفق حاجاته النفسية ، فهو يقترب او يبتعد عن الاخرين بناء على حركة منظومة الحاجات لديه • وقد تطغى هذه الحاجات على حساب حاجات الاخرين ، فتسبب الاذى النفسي والاجتماعي ، ويصبح هوى النفس هو السائد • من اجل ذلك يكون من الانفع للجماعة ان تعتمد قدرة الاغلبية ، وان تستنفر هذه القدرة الى اقصاها • وتؤكد وصايا الرئيس القائد في المجال الاجتماعي واجبات المسؤول عن الناس ، فلقد اهتمت بالرحمة وحسبتها تاج العدالة ، ولكنها لم تدع المجرمين الذين لا يرجى صلاحهم يعبثون في الارض • ومن واجباب المسؤول ان يعطي كل انسان استحقاقه ، وان لا يعتمد الظلم سبيلا لعلاج المشكلات الاجتماعية ، وان يميز بين المخلص لمجتمعه والمضحي له وبين من يسعى لتحقيق اهدافه الشخصية • وان يكون المسؤول ذا قرار حصيف ، وعندما يتخذ القرار عليه ان لا يتراجع عنه • وعليه ان يؤكد عمل الجماعة فهو الارقى مرتبة ونوعا والاعلى قدرة ، وان يد الله مع الجماعة ويد الشيطان مع المنعزلين عنها والذين يستأثرون ويستغنون عن محيطهم • وعلى المسؤول ان يهتم بالعلاقات الانسانية بينه وبين مرؤوسيه ، وان يعطي هذه العلاقة سمة الثبات والديمومة ، وان يؤكد في علاقته بالناس المبادىء ، وعليه ان لا يهبط بها الى وسائل متدنية•

ان عليه ان يهتم باهل التجربة والخبرة ، وان لا يحرم من ينبغي تجربتهم من امر او ميدان جديد•وان عليه ان يولي على امور الناس (القوي الصادق الامين « الوصية ٤١ ») الذي يخشى الله غير حقير الوزن وغير الذي يداري شهرته بالمال وغير الذي يغدر في ظلام ، والذي هو من المعدن الاصيل الطيب ، والذي يستحي من النقيصة ، وان يكون صاحب عدل ، ذا صدر مملوء بالايمان ،غير متنصل من مسؤوليته عندما يصاب بالاخفاق والفشل في عمل يتولاه ، وغير الذي ينتظر المنصب ليكون به (افضل على حساب الشعب والامة ومصالحها « الوصية ٥٦ ») •

نستخلص مما سبق ، ان السيد الرئيس القائد يدعو في وصاياه ، في مجال البناء الاجتماعي للانسان ، الى سيادة العلاقات الاجتماعية الانسانية الطيبة ، والعدل ، والمساواة ، وممارسة الحقوق والواجبات ، واحترام اراء الناس ، والابتعاد عن الهوى في التعامل مع الاخرين ، واستثمار القدرة الى اقصاها ، واعتماد الرحمة والتمييز بين الناس على اساس قيمهم وسلوكهم ، وتأكيد القدوة الحسنة ، وحسن التقدير والتدبير ، وتكاملية السلوك ، وتأكيد العمل الجماعي •

٤ ـ المجال الروحي :

تهتم المجتمعات قديمها وحديثها بغرس القيم الروحية في نفوس الناشئة وفي نفوس الكبار ، جنبا الى جنب ، لايمانها بان كل القيم الاخلاقية ذات صلة بما يقرب الانسان الى ما يؤمن به ، وهي في الاخر تبني الشخصية على اسس قويمة • ان بالانسان حاجة الى القيم التي تقوي الرابطة بينه وبين اخوته في الايمان ، وهي جميعا ذات صلة بمجالات الحياة المختلفة ، ويبقى بالانسان حاجة الى ما يقوي من توجهه الى الايمان والاطمئنان •

وهناك امثلة عديدة لمجتمعات قديمة ومعاصرة استطاعت ان تهب الى الوجود ناشئة وشبابا اندفعوا الى بناء حضارات استطاعت ان تقف امام

اعاصير الهدم والهمجية • من اجل ذلك نجد ان المجتمع العربي في ظرفه الحاضر به حاجة ماسة الى ما يقوي صلته برسالات السماء داعما قوى الايمان والاطمئنان في قلبه وفي عقله •

إن نظرة ثاقبة الى وصايا القائد «حفظه الله ورعاه» تعطي البرهان على وجود قيم روحية في كل وصية منها • بمعنى آخر ان سيادته يرى الا قيمة لوصية لانسان ما لم تكن محملة بالتوجه الروحي • ذلك لانه يحول القيم من معناها الراكد الى معنى فعال ديناميكي • لقد كان سيادته حريصا على ان يعطي الشخصية العربية زخما من الروح لتكون اقدر على مواجهة إفرازات الحاضر بقوة وشجاعة • إن النظرة التحليلية لهذه الوصايا القيمة في جانبها الروحي تعطي الصورة الاتية للشخصية العربية :

في كل نشاط من نشاطات الحياة اليومية لابد للانسان العربي المؤمن ان يقرن هذا النشاط بالتوكل على الله قولا وفعلا ، وليضع نصب عينيه انه موجود وهو اقرب اليه من حبل الوريد • ذلك يعني ان كل نشاط خال من النفع للانسان ولاخوته في الايمان يجب ان يستبعد لان الله عز وجل لا يكون موجودا فيه •

ان هذا الانسان المؤمن قد منح القدرة على التفاعل مع الاخرين في نشاطاته اليومية ومن دون هذا التفاعل لا يكون لوجوده قيمة • ان هذا التفاعل قد يتطلب في كثير من جوانبه ان يقدم الخير الى الاخرين ، واذا ما تحقق ذلك فليكن مقدم الخير سراعا اليه غير متردد ، واذا كان فعل الخير يتطلب السرعة فان احتمال وقوع الضرر بالاخرين يتطلب من الفرد التأني • وعندما يلحق الضرر بالاخرين فلا يجوز ان يسكت الانسان على هذا الضرر ، بل عليه ان يقول الحق وان يفعله حتى لا يقع ظلم على هذا الانسان •

إن هذا التفاعل مع الاخرين سوف يمكن الفرد من الوصول الى تمييز بين الناس وهم يتفاعلون ، وهؤلاء الناس لا يتساوون فيما لديهم ، ولا يجوز للشخصية المؤمنة ان تكافىء بينهم ، ففيهم الجبان وفيهم الشجاع وفيهم المخلص والمسيء وفيهم الصادق والكاذب وفيهم من يمتلك ناصية القيم الرفيعة وفيهم المدنس ، وعليه فان الشخصية مطالبة بان تكون على وعي وتفريق بين هؤلاء ، فتعزز في هؤلاء قيمهم الرفيعة ، وتبذل ما تستطيع لردع اولئك عن الانحراف في القيم .

واذا ما خيرت الشخصية بين المادة والروح فلابد ان تغلب القيم الروحية والاعتبارية قيم المادة ، لانها الادوم في النفس ولانها الانفع والاعلى منزلة . لكن الروح قد تصدأ بمرور الزمن ما لم تعزز بين الحين والاخر بما يقويها ويسندها ، بمعنى ان مصدر القوة لدى الانسان هو الروح وليس ما يمتلكه من قوى المادة وهي قد تؤول الى زوال .

وعندما تجد الشخصية نفسها قد ارتكبت ما لا يجب ان ترتكبه ، فليكن الندم ضرورة ، ومن دونه قد تستمرىء الشخصية فعل السوء . ولكن تكرار الندم وكثرته قد يرهق النفس ، فلابد بعد هذا التراكم الكمي من الندم ان تنفرز الحكمة ، فاذا ما انفرزت بلغ الانسان قمة الروح ، لان سلاح الروح هو الحكمة .

وبعد ان تتشكل الحكمة يتشكل الانسان الصادق الامين الذي يخشى الله ولا يغدر في ظلام ويتجنب الشر ويدرأ بالحسنى والمستحي من اي نقيصة ، والذي لا ينزع الشيطان الى قلبه فيعشعش فيه ، والذي يجعل الرحمة اساس العدالة ، والذي يربط لسانه بعقله ويجعل ضميره رقيب هواه ، والذي يحافظ على اسرار الناس ولا يضعها في افواه الاخرين ، والذي اذا ما اكتشف الخطأ فلا يتردد في اصلاحه ، والذي ، بعد كل هذا ، لا يحرم نفسه من التواصل بالارض والسماء معا ، اذ ليس اي منهما وحده بديلا كافيا في الحياة .